المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651
العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

فضل التفسير وضوابطه

الطالب

لطيف حامد عبدالله

إشراف

د.صالح معتوق

جامعة الجنان

كلية الاداب والعلوم الإنسانية

طرابلس لبنان.

المقدمة :

لعلم التفسير أهمية بالغة، ذلك لأن القرآن أنزله الله ليتدبره الناس ويفهمونه، وبالفهم تستريح الأنفس للعمل به وتطبيق ما فيه.

ولقد أشار الله تعالى إلي أهمية التفسير عند ما دعا إلي تدبر القرآن، فمثلا:

يقول سبحانه وتعالى: كتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْك مُبارَك لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ولِيَتَذَكرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (٢٩) [ص: ٢٩].

وقال تعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلي قُلُوبٍ أَقْفالُها (٢٤)[محمد: ٢٤].

وقال تعالى أيضا - آمرا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالقيام بمهمة التفسير: وأَنْزَلْنا إِلَيْك الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكرُونَ [النحل: ٤٤].

وقد قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمهمة خير قيام فكان أصحابه إذا أشكل عليهم شيء من القرآن سألوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيوضح ويبين لهم.

قال الإمام الطبري - رحمه الله - وهو يبين أهمية التفسير:(اعلموا عباد الله - رحمكم الله - أن أحق ما صرفت إلي علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضي وللعالم إلي سبيل الرشاد هدي، وإن اجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١).

وصدق الطبري فيما قال، فقد كان العلماء من قبله يرحلون إلي بلاد بعيدة من أجل الوقوف على معنى آية وتفسيرها، قال عبد الله بن مسعود: (ما من آية في كتاب الله - عز وجل - إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تركب إليه الإبل لركبت) (١).

وقد أشار الإمام القرطبي - رحمه الله - أيضا إلي أهمية علم التفسير فعقد لذلك فصلا موجزا في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) أورد فيه ما يدل على أهمية التفسير ومن ذلك:

(ورد عن إياس بن معاوية في فضل التفسير قال: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلهم روعة، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما في الكتاب) (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أهمية التفسير: «وحاجة الأمة ماسة إلي فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ...» (٣).

وما من واحد من المفسرين إلا وكتب في مقدمة تفسيره عن أهمية التفسير لكتاب الله عز وجل يستشهد على ذلك بالآيات الواردة في الحث على التدبر في كتاب الله تعالى. فليعلم طلاب العلم - خصوصا - والمسلمون عموما أن التفسير مهم جدا فهو الطريق إلي العمل بكتاب الله تعالى وتطبيقه كمنهج للحياة.

تعريفه:

للعلماء عدة أقوال في تعريف تفسير القرآن، أوردها الإمام السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن)، منها ما يلي:[2]

هو علم نزول الآيات وشؤونها، وقصصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.[3]

وقال أبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط): التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك. **فقولنا (علم):** هو جنس يشمل سائر العلوم.**وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن)** هذا هو علم القراءات .**وقولنا: (ومدلولاتها)** أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع .**وقولنا: (ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب)** يشمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي

بظاهره شيئا، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز. **وقولنا: (وتتمات لذلك)**هو مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك.[4]

وقال بدر الدين الزركشي في (البرهان في علوم القرآن): هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلموبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[5].

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في (مناهل العرفان في علوم القرآن): هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.[6]

وعرّفه الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير) فقال ما ملخصه: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه.[7]

أقسام التفسير :

باعتبار معرفة الناس له

وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أقسام أخرجها ابن جرير الطبري عن طريق سفيان الثوري عن ابن عباس فيما يلي:

وجه تعرفه العرب من كلامها.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسير لا يعلمه إلا الله.

ثانيا: باعتبار طرق الوصول إليه

وجهة استمداده تكون من الطريق المعتاد نقلا كان من القرآننفسه، أو من السنة، أو من كلام الصحابة، أو التابعين، أو كان رأيا واجتهادا. أو من غير هذا الطريق بأن يكون بطريق الإلهاموالفيض، فالتفسير ينقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

تفسير بالرواية، ويسمى **التفسير بالمأثور**.

تفسير بالدراية، ويسمى **التفسير بالرأي**.

تفسير بالدراية والرواية، ويسمى **التفسير الأثري النظري**.

تفسير بالفيض والإشارة، ويسمى **التفسير الإشاري**.

ثالثا: باعتبار أساليبه

أن ينظر إلى التفسير من جهة كونه شرحا لمجرد معنى اللفظ في اللغة، ثم لمعنى الجملة أو الآية على سبيل الإجمال، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين:

تفسير إجمالي.

تفسير تحليلي.

رابعا: من جهة تناوله لموضوعات القرآن

أن ينظر إلى التفسير من جهة خصوص تناوله لموضوع ما من موضوعات القرآن الكريم، عاما كان كالعقيدة والأحكام أو خاصا كالصلاة والوحدانية ونحوها. وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

تفسير عام.

تفسير موضوعي.

أساليب التفسير :

للمفسرين في التفسير أساليب أربعة هي:[10]

التفسير التحليلي: وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.

التفسير الإجمالي: وهو الأسلوب الذي يَعْمَد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متتبعاً ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها.

التفسير المقارن: وهو الأسلوب الذي يَعمد المفسر فيه المفسر إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصاً قرآنية أخرى، أو نصوصاً نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يُقارن بين الآراء، ويستعرض الأدلة، ويبين الراجح وينقض المرجوح.

التفسير الموضوعي: وهو أسلوب لا يُفَسِّر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف بل يجمع الآيات التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد فيفسرها.

من المهم الاعتناء بتفسير القرآن من قبل اشخاص لهم معرفة وحكمة و دراية بتفسير هذا الكتاب الكريم ومن أهم النقاط المعتبرة للمفسر شروطة وآدابه

شروط المفسر:

صحة الاعتقاد

التجرد عن الهوى

أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن

أن يطلب التفسير من السنة النبوية فإنها شارحة للقرآن

إذا لم يجد من السنة يرجع لقول الصحابة

العلم باللغة العربية و فروعها

العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن.

دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر.

اداب المفسر :

حسن النية وصحة المقصد

حسن الخُلق

الامتثال والعمل

تحرى الصدق والضبط و النقل

الجهر بالحق

التواضع ولين الجانب

عزة النفس عن سفاسف الأمور

حسن السمت الذي يكسبه الهيبة والوقار

الأناة والروية فلا يسرد الكلام سرداً بل يفصله ويبينه.

ضوابط التفسير

من ضوابط التفسير الصحيح عند العلماء أن يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة المطهرة الصحيحة، ثم بأقوال الصحابة، مع الابتعاد عن الآثار الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات، ثم بما نقل عن التابعين، وخاصة مدرسة ابن عباس... ولا بد للمفسر من معرفة اللغة العربية، وقواعدها، وآدابها (النحو، والصرف، والاشتقاق، والبلاغة)، قال مجاهد :لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالما بلغة العرب. وقال مالك :لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله، إلا جعلته نكالا.

ولا بد للمفسر من معرفة أصول الفقه؛ ليميز بين النص، والظاهر، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، والناسخ والمنسوخ. والعمل عندما يبدو أنه تعارض.

ولا بد له أيضا من معرفة أسباب النزول، والمكي والمدني، قال ابن تيمية :ومعرفة سبب النزول، يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب...

وغير ذلك من العلوم لا بد من توفرها في المفسر، كما لا يستغني المفسر عن الفهم الدقيق، والملكة الطبيعية، التي تؤهله لفهم كلام الله، يقول الطاهر بن عاشور في مقدمة التحرير والتنوير: واستمداد علم التفسير للمفسر العربي، والمولد، من المجموع الملتئم من علم العربية، وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، وعلم القراءات....

فلا يسمى المفسر مفسرا إذا لم تتوفر فيه هذه الضوابط.

بعض الضوابط في التفسير :

أولاً: العقيدة السليمة: يجب الأخذ بعين الاعتبار ماهو مذكور سلفاً من قبل الصحابة والتابعين، وعدم تفسير الكلام المذكور في القرآن بحسب رأي كل شخص أو على حسب أهوائه وميوله، ويمنع القيام بتحريف الآيات حتى تتماشى مع معتقد خاطئ لدى الشخص.

ثانياً: الإيمان بكلام الله عزّ وجل: يجب أخذ الكلام الوارد في القرآن الكريم على أنّه الحقيقة، ولا جدال فيه على الإطلاق، لأنّ كل ماهو مذكور نجد فيه دليل واضح وصريح، لذا يجب عدم وضع الشكوك لأنّ الأصل في الكلام هو توضيح الحقائق. مثال ذلك قول الله تعالى في سورة الفجر الآية رقم 22: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)، نلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ حقيقة المجيء هي معلومة، ولكن كيف سيكون المجيء فهو شيء مجهول، وعندما نريد إثبات المعلومة يجب أن تكون بشكل يليق بجلاله، ففي حال قام المفسر بعدم أخذ المعلومة على أنّها حقيقة فهو بذلك يدخل في الإثم والخطأ، ولا يقبل هذا التفسير.

ثالثاً: تفسير القرآن بالقرآن: أي الاعتماد على كتاب القرآن الكريم كأفضل طريقة للتفسير، حيث يقول الله جلّ وعلا في سورة الحجر الآية رقم 74: (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل)، ومعنى كلمة سجيل ورد في آية أخرى ومعناه طين كما يقول الله تعالى في سورة الذاريات الآية رقم 33: (لنرسل عليهم حجارة من طين)، لذا لا نستطيع تفسير كلمة السجيل بغير الطين.

رابعاً: تفسير القرآن بالسنة: وهو يعني الرجوع إلى مصادر من السنة والأحاديث الشريفة والأخذ بها، فلو أردنا تفسير الآية الكريمة رقم 60 من سورة الأنفال، حيث يقول الله تعالى: (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة)، نجد حديثاً شريفاً عن عقبة بن

عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة، ألا إنّ القوة الرمي ألا إنّ القوة الرمي ألا إنّ القوة الرمي) رواه مسلم.

خامساً: مراعاة الكلام الوارد في الآية القرآنية: حيث يتم التفسير بناءاً على سياق الآية، وربطها بالآيات السابقة واللاحقة، ونعطي مثالاً على ذلك قول الله سبحانه وتعالى في سورة الدخان في الآية رقم 49: (ذق إنّك أنت العزيز الكريم)، لنعرف معنى هذه الآية يجب الرجوع إلى الآية التي سبقتها، وبالتالي يتبين معناها على أنّ هذه الآية على سبيل التحقير والإذلال.

سادساً: الأخذ بمعاني الألفاظ ولوازمها: يجب على المفسر أن يركز في معنى الكلمة نفسها، ويمكن أن تأخذ الكلمة أكثر من معنى، وهذا يكون حسب سياق الآية الكريمة، فمراعاة ذلك يؤدي إلى الدقة في فهم كتاب الله عزّ وجل وفهم المعاني والأحكام. ومثال ذلك الآية رقم 104 من سورة آل عمران ويقول الله سبحانه وتعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وتدل هذه الآية بالنص الواضح والصريح، أنّه يجب القيام بعمل صالح أي الأمر بالمعروف، والبعد عن المحرمات حتى لا يؤدي الأمر إلى فساد أعظم.

الخاتمة

وفي الختام، فإن تفسير القرآن الكريم يحتاج إلى مجهود كبير جدًا فهو يعتبر بحر عميق ولا يوجد أحد يستطيع الوصول إلى أعماقه، فهناك كثيرًا من العلماء الذين حاولوا تفسير القرآن الكريم، كما أنهم حاولوا استخراج كل المفاهيم من الآيات،

وحاولوا تفسير معنى الآيات خلال بحوثهم المتعددة، والتفسير علم لم ينتهي أبدًا فهو مستمر حتى يومنا هذا وهذا كله يرجع إلى أهميته الكبيرة.

المراجع

يحيى نبهان (2008م). "معجم مصطلحات التاريخ". دار يافا العلمية للنشر والتوزيع. ص. 198. مؤرشف من الأصل في 2017-02-26.

كتاب: التفسير والتأويل في القرآن، تأليف: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار النفائس - الأردن، الطبعة الأولى: 1996م، ص: 26-28. نسخة محفوظة 2017-01-09 في Wayback Machine[وصلة مكسورة]

جلال الدين السيوطي. "الإتقان في علوم القرآن". شبكة إسلام ويب. مؤرشف من الأصل في 2017-02-26.

أبو حيّان الأندلسي. "تفسير البحر المحيط"